سامي سموحة[1]

هل إسرائيل غربية؟[2]

(نشر هذا المقال بصيغة أخرى في كتاب "إسرائيل والحداثة"، الذي كتب تكريماً للباحث في المجتمع الإسرائيلي موشيه ليساك وصدر عن معهد يد بن–تسفي. وقد أهدانا البروفسور سموحة هذه الصيغة المعدلة قليلاً باعتبارها مساهمة في تقييم وضع إسرائيل بالمقارنة مع العالم الغربي بعد مرور ٦٠ عاماً على قيامها– المحرر)

تنظر إسرائيل لنفسها وينظر إليها العالم بأنها دولة غربية، وكذا هي النظرة إليها في كتب العلوم الاجتماعية. مع ذلك فإن العديد من الباحثين لا يصرحون على الملأ بأن إسرائيل غربية.

القليل منهم يرى فيها حالة فريدة من نوعها، وعدد أقل يشكك في ملاءمتها للموديل الغربي. كباحث لدي شكوك حول هذا الرأي، سأحاول أن أفحص في أي مستوى تقف إسرائيل في مقياس الغرب والكشف عن القوى التي تدعم أو تعرقل مسار "الغربنة" (أن تكون غربياً).

أهداف هذا البحث الأساسية هي التعرف عن كثب على المجتمع الإسرائيلي، ولكن ليس هذا بالهدف الوحيد، خاصةً أن الحالة الإسرائيلية بإمكانها تسليط الضوء على الفوارق بين المصطلحات "مودرن"، "متطور" و "غربي" في مسارات تطور غير غربية

[1] أستاذ محاضر في علم الاجتماع، عميد كلية العلوم الاجتماعية في جامعة حيفا.
[2] ترجمة زلفى الصفدي– طالبة ماجستير في الدراسات الإسرائيلية، جامعة القدس. إشراف أكاديمي: أ.د. عزيز حيدر.

للحضارة والعولمة، والهدف أيضاً السؤال: هل الدول ما بعد الشيوعية والتي انضمت للاتحاد الأوروبي في ١ أيار ٢٠٠٤ هي حقاً دول غربية؟.

ما هي الغربنة "Westernization":

المصطلحات "مودرن" حديث، "متطور" وغربي ليست بمصطلحات متطابقة. بالعكس المصطلح "مودرن" معناه تغيير عادات وتقاليد قديمة بأخرى حديثة. والحداثة هي بالأساس القدرة، الرغبة والشرعية للتغيير وتبني عادات وأساليب جديدة، مسار شامل من الحداثة يستهدف جميع المجتمعات في أيامنا هذه.

على الرغم من أن أغلب المجتمعات حديثة بالمعنى الأساسي، أي أنها مجتمعات غير تقليدية وذات طابع إيجابي تجاه التغيير، لكن القليل منها فقط هي مجتمعات "متطورة". الدول المتطورة تتصدر اللائحة العالمية من ناحية تطور رأس المال البشري والاقتصادي، لديها اقتصاد سوق متطور وسلطة ديمقراطية. الأمم المتحدة (UNDP ٢٠٠٣) والبنك الدولي (World Bank ٢٠٠٣) تجمعان وتنشران المعطيات عن مؤشرات مختلفة للتطور. الدولة المتصدرة لائحة التطور مصنفة في مجموعة "الدول المتطورة جداً". وتتقدم هذه الدول في مواضيع مثل حقوق الإنسان، دخل الفرد، غياب الفقر، نسبة العاملين، المساواة بين الأجناس، مستوى التعليم، انتشار التكنولوجيا، معدل عمر الفرد، الخدمات الطبية، الأمن الشخصي، وجودة البيئة.

غالبية الدول المتطورة جداً هي أعضاء في منظمة التعاون والتطوير الاقتصادي (OECD).

مثلما مصطلح "متطورة" هو عملياً فئة ثانوية لمصطلح "حديث"، فكذلك مصطلح "غربنة" هو فئة ثانوية لمصطلح متطورة. المصطلح غربنة يتحدث عن دول غرب أوروبا والشركات التي قامت عبر البحار. كذلك يتضمن الغرب الولايات المتحدة الأميركية، كندا، أوستراليا، نيوزيلندا، وهي الدول التي تأسست بأيدي قاطنين جاءوا من غرب أوروبا، الولايات المتحدة الأميركية، بريطانيا، فرنسا، ألمانيا، والسويد هي وبلا شك المثال الأبرز للدول الغربية.

على الرغم من أن دول الغرب تختلف الواحدة عن الأخرى من حيث الحضارة واللغة، وأيضاً تختلف من حيث بناء النظام السياسي والاقتصادي الخاص بها، فإن لديها العديد من النقاط المشتركة بالمقارنة مع دول أخرى. فكل هذه الدول غنية، ديمقراطية، علمانية، ليست قومية متطرفةً وبرجوازية بحسب منظورهم وطريقة حياتهم.

لئلا ترتسم صورة إيجابية بحد كبير، من المهم التوضيح أن الغرب ايضاً مصاب بظواهر سلبية مثل انخفاض مركزية الجماعة، فقدان الحميمية في العلاقات الإنسانية، منافسة شديدة واستخدام سيء للكحول والمخدرات. هذه فقط بعض المشاكل الاجتماعية التي تميز المجتمع الغربي.

بيد أن مظاهر سلبية وايجابية كهذه يمكن الكشف عنها أيضاً في دول ليست غربية، ولكن هذه التوليفة خاصة بالغرب في أيامنا هذه، مثال على ذلك الكويت دولة غنية، الهند دولة ديمقراطية، اليابان دولة صناعية كبيرة، وتركيا دولة علمانية بشكل رسمي، ولكن ولا واحدة من هذه الدول هي دولة غربية، لأن أياً منها لا تتمتع بمجمل الميزات الخاصة بالموديل الغربي.

الغرب ليس فقط "مودرن" حديث ومتطور إنما من ناحية معينة أيضاً ما بعد حداثي Post Modern : اقتصاده مرتكز على تكنولوجيا متقدمة، وهي ما بعد الصناعية، العقلانية، والمعرفة العلمية والمادية لم تعد تحسب في الغرب كمقاييس مرغوب بها. دولة القومية لا تستطيع ادماج وتوحيد جميع سكانها المختلفين، وتيار الجيل الحديث "New age" أصبح ثقافة ثانوية قائمة بذاتها في الثقافة الغربية. هذه الظواهر وأخرى تميز ما بعد الحداثة أو الحداثة المتأخرة late modernity شائعة في وسط الطبقات الوسطى لدول الغرب.

مميزات الغرب مثيرة للجدل مع أن العديد يتقبلون فكرة "الحداثة المتعددة" multiple modernities. هناك عدة ميزات مشتركة للمجتمعات الغربية في بداية القرن الحادي والعشرين ، من أجل أن يُعتَبر المجتمع غربياً فعليه ملاءمة جميع المواصفات الغربية والتي تضم:

١. حدود ثابتة وواضحة للدولة وللمجتمع،

٢. مظهر غربي، توجهات غربية، علاقات مع الغرب وعضوية في المجتمع الغربي،

٣. ديمغرافيا تتضمن تزايداً سكانياً بنسبة صفر أو سلبي، اللاعائلية، توزيع اقتصادي للهجرة وعدد سكان لا غربيdن بنسبة صفر أو نسبة قليلة،

٤. مستويات عالية من الأبحاث والتطوير وجهاز تعليم عالٍ متقدم،

٥. اقتصاد ما بعد صناعي،

٦. الفصل بين الجيش والمجتمع،

٧. ديمقراطية ذات طابع ليبرالي أو توافقية Consociational،
٨. فصل رسمي أو عملي بين الدين والدولة،
٩. قومية مدنية اقليمية، وليست اثنية– دينية،
١٠. نمط الحياة الفردي البرجوازي.

تطبيق الموديل الغربي على إسرائيل

إسرائيل هي موضوع لأبحاث عديدة، ولكن أياً من هذه الأبحاث لا يجيب عن السؤال: بأي مدى إسرائيل غربية؟ من هذه الأبحاث نستنتج أن إسرائيل دولة غربية، وأنه يجب فحصها بناء على مواصفات غربية. مدى انتماء إسرائيل للغرب – داخل حدود ١٩٦٧ – سيقاس بواسطة العشرة مقاييس للمجتمع، الدولة وثقافة الغرب التي ذكرناها سابقاً.

١. حدود ثابتة وواضحة

الصفة الأولى والأساسية للدولة الغربية هي أن تكون لها حدود سياسية ثابتة ومعروفة وحدود أخرى اجتماعية أي قواعد انتماء واضحة ومقبولة. في هذا الامتحان المصيري فإن إسرائيل تسقط. فإسرائيل ما زالت تعيش في محيط عدائي، حدودها غير آمنة ولا تحظى باعتراف دولي، وهي تسيطر على مناطق واسعة موجودة ما بعد حدود خط الهدنة. بالإضافة إلى ذلك فإسرائيل تسقط أيضاً في امتحان الحدود الاجتماعية الواضحة التي تميز المجتمعات الغربية. فهي تسيطر على أكثر من عشرة ملايين انسان في أراضي فلسطين الإنتدابية، على الرغم من أن أكثر من ثلث هذا العدد هم عرب فلسطينيون ليسوا مواطنين في دولة إسرائيل وإنما موجودون في نوع من أنواع الحكم العسكري.

في إسرائيل أيضاً ربع مليون عامل اجنبي، تواجدهم في إسرائيل غير مؤقت وأيضاً ليس دائماً. تعلن إسرائيل عن نفسها بأنها البيت القومي للشعب اليهودي وتمنح كل يهودي أو قريب لعائلة يهودي حقاً فورياً بالهجرة إليها والحصول على الجنسية الإسرائيلية.

في نفس الوقت نتحدث عن ١،٠٢٥،٠٠٠ عربي يحملون الجنسية الإسرائيلية يعيشون في إسرائيل ٢٠٠٤، يُحسبون كأعضاء كاملين في المجتمع الذي يعرف نفسه كمجتمع يهودي. بالإضافة فإن القانون الإسرائيلي ينطبق على ربع مليون مستوطن يهودي يعيشون في الضفة الغربية وقطاع غزة، ولكنه لا ينطبق على الفلسطينين الذين يقطنون في نفس هذه المناطق.

يرى هوروفيتس وليسك (١٩٩٠) في تشوش الحدود الإقليمية والاجتماعية ميزة للمجتمع الإسرائيلي، وبذلك فهما يقران بصورة التفافية بطابع إسرائيل اللا– غربي.

٢. مظهر غربي، توجهات غربية، علاقات وعضوية.

تستطيع إسرائيل بوضوح اجتياز امتحان المظهر الغربي، التوجهات الغربية، العلاقات مع دول الغرب، وأيضاً قدر المستطاع في امتحان العضوية في الغرب:

المظهر

تبث إسرائيل مؤشرات تدل أنها دولة غربية: فالنخب السياسية والثقافية فيها تدعي بأن الدولة حقاً غربية من الناحية الثقافية، الاقتصادية والسياسية وطريقة الحياة، وأيضاً الغرب والمجتمع الدولي يدعمان هذه النظرة باعتبارهم إسرائيل جزءاً من الغرب.

توجهات غربية

لإسرائيل توجهات غربية محضة، فعندما يتحدث الإسرائيليون عن حياتهم وعن انجازاتهم فهم يقارنون أنفسهم دائماً بالغرب، الشخصيات العامة، القضاة، الصحافيون، مفكرون، علماء، محاضرون، كتاب ،فنانون، إعلاميين، رياضيون، فكاهيون، وشخصيات أخرى، يُقيمون إنجازات إسرائيل والإسرائيليين بناءً على قيم غربية. عندما يقول الإسرائيليون "هذا هو المتبَع في العالم" فقصدهم القول "هذا هو المتبع بالغرب". لكن اسرائيل لا تستطيع اعتبار انجرافها الزائد نحو الغرب شيئاً مفروغاً منه، لأن هناك عدة أسباب تدعو إسرائيل للتراجع.

الصهيونية– وهي الايديولوجيا الرئيسية والمؤسِّسة لإقامة إسرائيل، لا ترى بتحول إسرائيل لدولة غربية هدفاً لها، جميع التيارات الصهيونية، النخب اليهودية وغالبية اليهود موافقون أن على أن تكون إسرائيل يهودية، ديمغرافية وحديثة، ولكن أيا من هذه الأهداف الثلاثة لا تستوجب الغربنة. المصطلح "يهودية" من الممكن تفسيره باتجاه اللغة العبرية،الدين، التقاليد اليهودية أو لكل طابع ثقافي أنتجه اليهود، ولكنه لا يُلمح ابداً إلى تبني قيم وسبل تعامل غربية.

الآباء المؤسسون للصهيونية ولإسرائيل اعتقدوا أن عليهم خلق

إسرائيل جزء من "جهاز الأمن العالمي"

يهودي جديد، ثقافة يهودية جديدة ومجتمع يهودي جديد لتكون مثالية ومميزة، ولكن لم تكن لديهم أية نية في نسخ الموديل الغربي.

هناك سبب آخر يدعو اليهود إلى التحفظ على الغرب. فبتأثير المسيحية الغربية أُتِّهِمَ اليهود بقتل المسيح، أُقصوا وعانوا خلال سنوات عديدة من الاضطهاد، الملاحقة واللاسامية، في الغرب. تحديداً وصل اضطهاد اليهود إلى درجات قصوى في عهد ألمانيا النازية، مقابل هذا لم تحرك الدول الغربية ساكناً لوقف النزيف. وهناك سبب ثالث يدعو إسرائيل إلى التحفظ من الغرب وهو متعلق بموقع إسرائيل الجيو– سياسي: حيث أن إسرائيل موجودة في منطقة الشرق الأوسط ومعنية بالعيش بسلام مع جيرانها العرب، فمن المتوقع أن تختلط بالمنطقة لتكون مقبولة على الدول والشعوب المحيطة. لكن حقيقة قلب إسرائيل الغربي يكشف حقيقة اختلافها وعدم تقبلها لطريقة الحياة في الشرق الأوسط، مثل هذه التصرفات الإسرائيلية من شأنها أن تزيد من رفض العرب لوجودها في المنطقة.

علاقات

إسرائيل تقوم بنجاح كبير بإقامة علاقات قوية ومتفرعة مع الغرب، أغلب العلاقات الخارجية لإسرائيل في مجالات الجيش، التجارة، العلم، التكنولوجيا، الثقافة، السياحة والرياضة هي مع دول الغرب.

في السياسة العالمية إسرائيل هي جزء من الكتلة الغربية، فهي تقيم علاقات وطيدة مع الولايات المتحدة وعلاقات أخرى جيدة مع دول غرب أوروبا، والولايات المتحدة تعمل كحامٍ سياسي لإسرائيل وتحميها في الأمم المتحدة وفي محافل دولية أخرى. ليس الموضوع غير ذي أهمية عندما نستطلع أنه في سنوات ألـ ٨٠ و ٩٠ للقرن العشرين بلغ اجمالي المساعدات الأميركية لإسرائيل ١/٣ ميزانية المساعدات الخارجية الأميركية، وحتى يومنا هذا المساعدات الخارجية للفرد في إسرائيل هي من الأعلى نسبة في العالم.

إن الوضع الخاص الذي تتمتع به إسرائيل داخل الولايات المتحدة مصدره أيضاً موقع الجالية اليهودية الإستراتيجي في السياسة الداخلية الأميركية. ليهود أميركا تأثير سياسي كبير بالمقارنة مع عددهم القليل في المجتمع الأميركي (٢٪) والسبب هو تجمع الجالية اليهودية في مراكز المدن والولايات المهمة في أميركا وبسبب وعيهم ومشاركتهم السياسية العالية، بالإضافة إلى مساعداتهم للحملات الانتخابية وقدرة وصولهم لوسائل الإعلام بسهولة. إن قدرة إسرائيل على التأثير في مراحل اتخاذ القرار في الولايات المتحدة بشكل مباشر أو بواسطة يهود أميركا، هو مورد يجذب العديد من الدول نحو إسرائيل على أمل أن تكون إسرائيل وسيطاً لها لدى الولايات المتحدة.

إسرائيل هي جزء من نظام جهاز الأمن العالمي للغرب، قدراتها العسكرية والتهديد على وجودها يؤخذ بالحسبان في اطار الاستراتيجية الدفاعية للغرب، وأيضاً الغرب مُلزَم بوجود إسرائيل ويستند على قوتها لأغراض الحفاظ على أمنه وسلامته، لهذا السبب يمكن رؤية إسرائيل كحليف فعلي للغرب، التكنولوجيا والتكتيك العسكري الخاص في إسرائيل غربي، في أغلب الأسلحة التي تنتجها إسرائيل هناك قطع مهمة من إنتاج أميركي، ولذلك فبيعها

إن الوضع الخاص الذي تتمتع به إسرائيل داخل الولايات المتحدة مصدره أيضاً موقع الجالية اليهودية الإستراتيجي في السياسة الداخلية الأميركية. ليهود أميركا تأثير سياسي كبير بالمقارنة مع عددهم القليل في المجتمع الأميركي (٢٪) والسبب هو تجمع الجالية اليهودية في مراكز المدن والولايات المهمة في أميركا وبسبب وعيهم ومشاركتهم السياسية العالية، بالإضافة إلى مساعداتهم للحملات الانتخابية وقدرة وصولهم لوسائل الإعلام بسهولة

محدود ومشروط بتصريح مسبق من قبل الولايات المتحدة. كذلك فإن إسرائيل تخدم الغرب كونها تطور وتفحص أسلحة غربية، وهي أيضاً مشاركة في نظام جمع المعلومات الاستخبارية الغربي وحرب الغرب على الإرهاب.

الاقتصاد الإسرائيلي مرتبط بشكل وثيق بالغرب، حيث تجري أغلب المعاملات التجارية لإسرائيل مع هذه الدول، سنة ٢٠٠٢ بلغت الواردات إلى إسرائيل ٣٣،١ مليار دولار، ٧٢,٨٪ من هذه البضائع جاءت من أوروبا، أميركا أستراليا ونيوزيلندا، الصادرات الإسرائيلية بلغت ٢٩,٣ مليار دولار ٧٤,٤٪ من هذه الصادرات وصل إلى نفس الدول الموردة أعلاه.

بين إسرائيل والولايات المتحدة اتفاق تجارة حرة، مع أن إسرائيل ما زالت تجبي ضريبة مبيعات وضريبة مضافة عن البضائع الأميركية كمصدر دخل، وكوسيلة للحفاظ على المنتج المحلي الإسرائيلي.

من الجدير أن نذكر التعاون في مجالات العلم والتكنولوجيا بين إسرائيل والغرب. أغلب العلماء الإسرائيليين يتلقون جزءاً من تعليمهم في الغرب، هم يختلطون داخل الشبكات والجماعات العلمية الغربية ويشاركون في مشاريع أبحاث وتطوير غربية.

الإسرائيليون يكثرون من التجوال في العالم، فهم تقريباً يصلون إلى كل بُقعة في العالم، ولكن أغلبهم يذهب للاستجمام في الغرب خاصةً في غرب أوروبا والولايات المتحدة.

العضوية

كون إسرائيل دولة آسيوية فمن غير المتوقع أن تكون عضواً في منظمات غربية دولية، خاصةً في الكتلة الغربية داخل الأمم المتحدة، أو في حلف الناتو أو الاتحاد الأوروبي. مع ذلك فإسرائيل تقيم علاقات شراكة وطيدة خاصة مع هذه المنظمات. خلال عشرات السنين سارعت إسرائيل من أجل أن تحسب ضمن الكتلة الغربية في الأمم المتحدة خاصةً أنه لم يسمح لها المشاركة في الكتلة الآسيوية، ولذلك تعذر عليها التمثيل في عدة لجان وفي مؤسسات الأمم المتحدة. في مقابل ذلك فإن إسرائيل ليست معنية في الدخول كعضو في الناتو أو التحول إلى حليف عسكري رسمي للولايات المتحدة كي لا يحد موقع كهذا من سياستها في مجال الأمن القومي ومن عملياتها العسكرية.

وتعتبر إسرائيل العضوية الكاملة في الاتحاد الأوروبي مصدر ضرر بسيادتها. فالإتحاد الأوروبي يرتكز على أساس من الحركة الحرة للبضائع، الأموال والإنسان؛ لو كانت إسرائيل عضواً في الاتحاد الأوروبي لكان تطبيع هذا المبدأ بمثابة التزام من طرفها بأبطال سياسة الهجرة، الخاصة بزيادة اليهود في الدولة وتقليص نسبة غير اليهود داخلها. لأن إسرائيل تعد أرضاً مقدسة فقد تغمر بملايين المهاجرين المسلمين والمسيحيين من أوروبا، كذلك فإن حق العودة للفلسطينيين كان يمكن أن يطبق بشكل التفافي بواسطة جنسيات أوروربية.

٣. ديموغرافيا

كون إسرائيل مجتمعاً حديثاً ومتطوراً فهي تشبه الغرب من ناحية الخصائص الديمغرافية، للتوضيح فإن معدل عمر الرجل في إسرائيل سنة ٢٠٠١ كان ٧٦,١ سنة ومعدل عمر المرأة هو ٨٠,٩ سنة ونسبة الوفيات لدى المواليد هو ٥,١ لكل ١٠٠٠ مولود حَي. هذه المعطيات تضع إسرائيل في الصف الأول مع دول ألـ OECD ومع دول الغرب. ولكن من ناحية اجتماعية ديمغرافية فإن إسرائيل تشذ عن الغرب بشكل ملحوظ: فأحد المؤشرات المهمة هو نسبة الولادات ٢,٨٩٪ في سنة ٢٠٠٢، والذي يضع إسرائيل في مرتبة بعيدة جداً من دول غربية تتميز بنسب ولادات صفر أو حتى سلبية.

يحاول اليهود الحريديم والذين يشكلون نسبة ١٠٪ من عدد السكان قدر استطاعتهم الحفاظ على العقائد القديمة، ينبذون قيماً غربية ويؤمنون أن الخلاص يأتي عن طريق الحفاظ التام على العقائد اليهودية. على الرغم من وجود سكان غير غربيين في كل الدول الغربية إلى جانب السكان الأصليين أو المهاجرين المسلمين، لا توجد نسبة كبيرة من غير الغربيين كما في إسرائيل.

التزايد السنوي لعدد السكان في إسرائيل والذي يمثل التوالد الطبيعي وعدد القادمين كان في سنة ٢٠٠٢ ١,٩٪ مقابل نسبة صفر في أغلب الدول الغربية. السكان في إسرائيل أصغر سناً منهم في الغرب.

تختلف إسرائيل عن الغرب بمستوى العائلية، أي مركزية وقوة العائلة، العائلية الإسرائيلية تتمثل بعالمية الزواج، ونسب طلاق قليلة، بعدد صغير من الأطفال يولدون خارج مؤسسة الزواج، بنسب مقلصة من العائلات أحادية الوالدين، وبدعم الأهل لأولادهم مدى الحياة(Katz Peres 1986).

تختلف إسرائيل كثيراً عن دول الغرب أيضاً في السياسة الإثنية السيئة في مجال الهجرة: كونها مجتمع مهاجرين تفتح إسرائيل أبوابها دون قيود أمام اليهود فقط. يتم تعريف اليهود لديها بالانتماء الديني والخلفية الإثنية، وتصرف النظر عن اعتبارات اقتصادية وسياسية. تمنع حق العودة من أربعة ملايين فلسطيني تركوا المنطقة في ١٩٤٨، ولكن ايضاً في دول مهاجرين غربية مثل أميركا، كندا، واستراليا هناك أهمية للمواصفات الإثنية في سياسة الهجرة. تعد إسرائيل من الدول القليلة في العالم التي توفر للمهاجرين خدمات أساسية، والأهم أنها تعطيهم مواطنة فورية وحقاً فورياً للتصويت للكنيست.

أكثر من ربع السكان في إسرائيل هم من العرب ويهود حريديم– أي أنها غير غربية على الإطلاق، المواطنون العرب ويشكلون ١٦,٥٪ من عدد السكان الكلي يمرون في عملية حداثة، ولكن يتحفظون على علاقتهم بالغرب أو حتى يرفضونها من ناحية ثقافية وقومية، وينظرون إلى أنفسهم كجزء من العالم العربي والشعب الفلسطيني، ولا يريدون أن يصبحوا غربيين.

يحاول اليهود الحريديم والذين يشكلون نسبة ١٠٪ من عدد السكان قدر استطاعتهم الحفاظ على العقائد القديمة، ينبذون قيماً غربية ويؤمنون أن الخلاص يأتي عن طريق الحفاظ التام على العقائد اليهودية. على الرغم من وجود سكان غير غربيين في كل الدول الغربية إلى جانب السكان الأصليين أو المهاجرين المسلمين، لا توجد نسبة كبيرة من غير الغربيين كما في إسرائيل.

وبخلاف الوضع القائم في الدول الغربية، فإن المجموعة الأوروبية السائدة في إسرائيل تعتبر أقلية من ناحية عددها: فاليهود من أصل عربي (دول إسلامية) والمواطنون العرب يشكلون أغلبية في إسرائيل. في أعقاب الهجرة الروسية ازداد عدد اليهود من أصل أوروبي، ولكنهم ما زالوا أقلية حيث يشكلون ٤٧٪ من مجمل السكان. هذه التركيبة الإثنية تعطي إسرائيل سمة أو ملامح متوسطية لا تتمتع بها أية دولة غربية.

هناك صفة خاصة أيضاً بإسرائيل وهي التفرقة في السكن بحسب الدين، القومية واللغة: نحو ٩٠٪ من العرب مواطني إسرائيل يسكنون في بلدات وقرى ذات أغلبية عربية، والبقية يسكنون في أحياء عربية منفصلة داخل مدن يهودية. هناك فصل كامل مصدره الإرث التاريخي ويكون غالباً بمحض الإرادة، إلا أن تبعاته مهمة على احتمالات احراز المساواة في الحقوق والفرص لدى الأقلية القومية العربية.

٤. أبحاث وتطوير وتعليم عالٍ

يعد الاستثمار في الأبحاث والتطوير والتعليم العالي، شرطاً ضرورياً لتطوير الاقتصاد وتقديم خدمات بمستوى عالٍ، ومجتمعات تتمتع بهذه الشروط تتقدم باستمرار بفضل الاستخدام الكبير للحاسوب ولوسائل اتصال متعددة وأجهزة تكنولوجية. مستوى التعليم العالي ونسب التعليم المرتفعة تشكل أرضية لأداء ناجح ولنمو اقتصادي ومستوى حياة عالٍ.

تشكل إسرائيل نجاحاً باهراً في مجال العلم والتطوير: سنة ٢٠٠١ صرفت إسرائيل ٤,٨٪ من الناتج القومي الخام لأغراض العلم والتطوير المدني، وتعد هذه نسبة عالية تجعلها تتصدر قائمة

إسرائيل: أسفل السلّم الغربي اقتصادياً.

الدول داعمة التطوير في العالم.

بكل ما يتعلق بدعم التربية والتعليم كذلك: في سنة ٢٠٠٠ صرفت إسرائيل ٨،٢٪ من الناتج القومي الخام على التربية في حين أن المتوسط في دول OECD هو ٥،٩٪. في سنوات الـ ٩٠ مرت إسرائيل بتغيرات جذرية في جهاز التعليم العالي: عدد الطلاب زاد من ٧٦,٠٠٠ في سنة ١٩٩٠ إلى ١٨٠,٢٢٩ في سنة ٢٠٠٢ أضف إليهم ٣٦,٧١٠ طلاب تعلموا في الجامعة المفتوحة.

٥. اقتصاد

تتمسك إسرائيل بالثوابت الاقتصادية الغربية بشكل جزئي فقط، الاقتصاد في إسرائيل هو اقتصاد سوق ما بعد الصناعي، مع انجازات في مؤشرات اقتصادية معدودة: على سبيل المثال في سنة ٢٠٠٢ كان ٢٦,٤٪ من الإسرائيليين في عمر ١٥ وما فوق من القادرين على العمل ذوي تعليم عالٍ. في مجال التكنولوجيا تعد إسرائيل اصغر دولة ذات كفاءة عاليةً لإنتاج وإطلاق أسلحة نووية، فهي تطور صواريخ، أدوات طبية، وأجهزة اتصال، وتتميز الصناعات المتطورة في الإلكترونيات والبرمجة بنمو نشط في إسرائيل.

رغم كل المحاولات منذ قيامها في ١٩٤٨ ما تزال إسرائيل في أسفل الاقتصادات الغربية المتطورة: في سنة ٢٠٠١ وصل الناتج القومي للفرد إلى ١٧،٥٠٥ دولار، وهو أقل بكثير من المعدل بالدول الغربية. الاقتصاد الإسرائيلي مُدَعم بشكل كبير عن طريق جلب الأموال من الخارج، ولولاه لكان مستوى الحياة منخفضاً جداً، وكان التقليص في أفرع الخدمات سيجبر عمالاً كثيرين على التوجه لفروع الإنتاج الأقل جودة والأكثر دخلاً.

النسبة المنخفضة من قوة العمل هي أحد الأسباب لتدني الانجاز الاقتصادي في إسرائيل: ٥٤,٣٪ من مجمل السكان ذوي القدرة على العمل شاركوا في ٢٠٠١ بقوة العمل، هذه النسبة المتدنية تؤثر سلباً على الناتج القومي للفرد، وهي ناتجة عن العدد الكبير للأفراد الذين يخدمون في الجيش. آخرون لا يخرجون للعمل مثل النساء العربيات: فقط ١٧،١٪ عملن بأجر في سنة ٢٠٠٢. وهناك أيضاً طلاب المدارس الدينية اليهودية. منذ سنة ١٩٨٥ انتقلت إسرائيل إلى نظام العولمة الاقتصادي وحكومات إسرائيل تبنت طوعاً السياسة الاقتصادية التي تلزم جميع دول الاتحاد الأوروبي.

أدت سياسة الخصخصة وإزالة الرقابة الحكومية إلى تحرر الاقتصاد الإسرائيلي لدرجة أنه في سنة ٢٠٠٤ صنفت إسرائيل في المرتبة ٢٩ من بين ١٦١ دولة في مؤشر الحرية الاقتصادية، أحرزت ٢,٣٦ نقطة في سلم من ١ إلى ٥، ووضعت في مجموعة الاقتصادات الحُرة، وعلى الرغم من هذه الاصلاحات فإن الوسط الحكومي والعام في الاقتصاد الإسرائيلي ما زال الأكبر في المجتمعات الرأسمالية– ٩٣٪ من الأراضي تمتلكها الحكومة أو هي أملاك عامة، وتدخل الحكومة بالاقتصاد غير مسبوق في اقتصادات غير اشتراكية.

زادت العولمة واللبرالية من عدم المساواة في إسرائيل إلى مقاييس مثيرة للقلق وتفوق المستويات المعروفة في الغرب: في سنة ٢٠٠٢ بلغت نسبة الأشخاص الذين يعيشون تحت خط الفقر ٢١,١٪. هذه

أدت سياسة الخصخصة وإزالة الرقابة الحكومية إلى تحرر الاقتصاد الإسرائيلي لدرجة أنه في سنة ٢٠٠٤ صنفت إسرائيل في المرتبة ٢٩ من بين ١٦١ دولة في مؤشر الحرية الاقتصادية، أحرزت ٢,٣٦ نقطة في سلم من ١ إلى ٥، ووضعت في مجموعة الاقتصادات الحُرة، وعلى الرغم من هذه الاصلاحات فإن الوسط الحكومي والعام في الاقتصاد الإسرائيلي ما زال الأكبر في المجتمعات الرأسمالية- ٩٣٪ من الأراضي تمتلكها الحكومة أو هي أملاك عامة، وتدخل الحكومة بالاقتصاد غير مسبوق في اقتصادات غير اشتراكية.

المعطيات تجعل من إسرائيل احدى الدول المتميزة باللامساواة على الاطلاق في الغرب، وعدم المساواة ازداد بشكل كبير خلال انتفاضة الأقصى لأن النمو الاقتصادي المتوقع كان صفراً، وتم التقليص الكبير في سنة ٢٠٠١-٢٠٠٣.

٦. الجيش

يعد الجيش الإسرائيلي غربياً من الناحية التنظيمية، المعرفة، التكنولوجيا المتقدمة، روح القتال والتبعية للحكومة، ولكن بنظرة معمقة أكثر نكشف خصائصه وانحرافه عن المقاييس الغربية: الجيش في إسرائيل ما يزال جيش الشعب بخلاف الجيش المهني المتبع في دول الغرب، الخدمة إجبارية للرجال والنساء، والعديد من الرجال يخدمون في الاحتياط لسنوات طويلة. لا يسمح للرجال تأدية خدمة مدنية بدل الخدمة العسكرية. تعتبر الخدمة في الجيش حجر الأساس في وضع الأفراد المدني: فالذين لا يخدمون في الجيش مثل العرب، الحريديم، معاقين ومتسربين، يواجهون بغضب ولا يحسبون كإسرائيليين كاملين. مغامرة الخدمة العسكرية هي جزء رئيس من مكوّنات "أن تكون إسرائيلياً" وهذا الوضع خاص بإسرائيل.

تختلف إسرائيل عن الغرب بأن للجيش مكانة خاصة ومركزية ليس فقط في حياة الفرد والعائلة وإنما في حياة المجتمع ككل، الجيش هو مؤسسة مركزية في المجتمع الإسرائيلي ولأن النظرة إلى الجيش بأنه الجسم الذي يؤمن استمرار الوجود القومي، فيحصل هو على الجزء الأكبر من موارد الدولة و ٩٪ من الناتج القومي.

تسيطر اعتبارات الأمن القومي على جميع مناحي الحياة، وتؤثر في القرارت المتعلقة بالتخطيط للبنى التحتية مثل شق الطرق السريعة، فهناك مُرَكَّبات ذات أهمية للأمن، عدد الأولاد الكبير نسبياً في العائلة الإسرائيلية يتأثر أيضاً من المخاطر الناجمة عن الخدمة في الجيش. إن اعطاء الحرية لليهود بالقدوم إلى إسرائيل لم يتم فقط لتحقيق النبوءة الصهيونية، وإنما يفهم كزيادة مهمة في عدد القادرين على القتال، بالإضافة فإن الامتيازات التي تعطى للرجال مقابل الخدمة هي إحدى العوائق الكبيرة في طريق المساواة بين الجنسين في إسرائيل.

هناك باحثون ينكرون وجود "العسكرة" في المجتمع الإسرائيلي (ليساك، ٢٠٠١) ويدعون أن الجيش والقواعد التي تقوده وتقود ضباطه غير شاذة عن القاعدة بالرغم من حالة الحرب المستمرة.

تشكل العسكرة وحدة إيجابية في مجتمع مضطر للبقاء في بيئة معادية خلال أكثر من مائة عام، على الإنسان في هكذا مجتمعات أن يُقر بداخله أن الجيش يستطيع حلّ جميع المشاكل حتى مشاكل غير عسكرية، على الأغلب قضايا اقليمية – سياسية مثل القضية اليهودية الفلسطينية، سواء كجنود أو كمواطنين، طور اليهود خلال السنوات عقلية "الجدار الحديدي" التي تساعدهم في قتال العرب وتحدد الاحساس نحوهم (Lustick ١٩٩٦).

على الرغم من أن الجيش في الغرب أصبح مع السنين مهنياً، منفصلاً عن المجتمع ومهيأ لوضعية سلام، فإن الجيش في إسرائيل يحافظ على علاقة متوازنة مع الثقافة، مع السياسة ومع المجتمع الإسرائيلي، وهو جاهز لوضع يتصف بمواجهة عنيفة وطويلة.

٧. ديمقراطية

تتباهى إسرائيل بأنها الديمقراطية الحقيقية الوحيدة في الشرق الأوسط، وحقاً فإن لها تاريخ ديمقراطي جيد. النُخَب والعامة يبدون مسؤولية تامة تجاه الديمقراطية. يتمتع جميع المواطنين بحقوق من جميع الأنواع – حقوق إنسان، الحق في الاحترام والخصوصية، حقوق اجتماعية مثل خدمات اجتماعية وخدمات رفاه، حقوق مدنية مثل حرية التعبير وحرية التجمعات، وحرية سياسية مثل الحق

الجيش الإسرائيلي: صلاحيات جارفة.

بالانتخاب والترشح، السلطة القضائية مستقلة، المحكمة العليا ليبرالية وتقوم بمراقبة أعمال الحكومة، الصحافة حرة وناقدة تجاه الحكومة، الجيش موجود تحت رقابة مدنية ولا يؤثر بشكل مبالغ فيه باتخاذ القرارات السياسية، أجهزة الأمن السرية ما زالت تتمتع بحرية تامة بالعمل، خاصة بالتعامل مع الفلسطينيين من غير مواطني الدولة، ولكن أيضاً هذه الأجهزة خاضعة لنقد عام متزايد، الأحزاب تقوم بعمل فعال، موجهة بواسطة المركز المنتخب، أغلب هذه الأحزاب تقوم بانتخابات تمهيدية لاختيار قياداتها واعضائها للكنيست، الانتخابات للكنيست وللمجالس المحلية منظمة وتتم بشكل دوري، السلطة الحاكمة ليست متورطة بفساد سياسي، استطاعت الديمقراطية في إسرائيل أن تنجو من خلافات عميقة وحروب منذ سنة ١٩٤٨ دون الدخول في أزمة كبيرة.

تحول هذه الميزات إسرائيل لدولة ديمقراطية مستقرة، ولكن ليس بالضرورة ديمقراطية من الدرجة الأولى بناء على استطلاع الرأي الذي أجراه "فديدم هاوس" في سنة ٢٠٠٣ عن الدول المستقلة بالعالم، حصلت إسرائيل على علامة عالية جداً حول الحقوق السياسية وعلامة ٣ (في سلم من ٧-١) على حقوق المواطن، وصنفت إسرائيل في هذا الاستطلاع بأنها دولة "حرة".

في سنة ٢٠٠٣ قام المعهد الإسرائيلي للديمقراطية بمشروع "مقياس الديمقراطية في إسرائيل" بهدف مقارنة الديمقراطية في إسرائيل بـ ٣٥ ديمقراطية غربية وغير غربية: حصل المستطلعون على نتيجة أن إسرائيل تتأرجح بين مؤشرات مختلفة لقياس الديمقراطية ولا تحصل على مميزات عالية إثر هذا التأرجح؛ مقارنة بالديمقراطيات في العالم فإن وضع إسرائيل يدعو للقلق من الناحية المؤسساتية: يبدو الوضع جيداً ولكن هناك العديد من الاشكالات مثل نسبة الناخبين الآخذة بالتناقص، الثقة باستقامة الحكومة آخذة بالهبوط، المشاكل الأكبر هي في حرية الصحافة والمس بحقوق الإنسان، نسبة المعتقلين الجنائيين تتزايد، عدم المساواة في تقسيم الدخل، عدم المساواة بين الأغلبية اليهودية وبين الأقلية العربية. الاستنتاج أن إسرائيل هي ديمقراطية "رسمية" ولم تنجح بعد بدمج وادخال مكونات الديمقراطية الحقيقية.

حتى أن الأمور هي أسوأ بكثير، فإسرائيل لا تملك دستوراً ولا حتى بديلاً للدستور، ولذلك فحقوق الأقلية مهددة وهناك أفراد آخرون لا يتمتعون بحماية كافية.

بحسب القانون فإن إسرائيل موجودة في حالة حرب دائمة: في الحرب سنة ١٩٤٨ أعلنت إسرائيل عن حالة طوارئ ولم تلغ هذا القرار من حينها، على أثر ذلك أعطيت الحكومة والجيش صلاحيات حقوقية جارفة، وأيضاً الحق في إجراء اعتقالات إدارية، الإعلان عن منع تجول، فرض إغلاق على مناطق، مصادرة أراضٍ، إدانة مواطنين في محكمة عسكرية، مراقبة ووقف صدور كتب وصحف. هذه الصلاحيات المفرطة تُستغل لتمرير أجزاء من قانون الموازنة وأيضاً لتخويف الأقليات ومعارضي السلطة. مع ذلك تعلن إسرائيل عن نفسها كدولة يهودية ديمقراطية إلى جانب الإعلان عن مساواة في الحقوق، فإن اليهودية هي السائدة في المؤسسات ويحصل اليهود

تتنافى مركزية الدين في حياة الدولة والمجتمع في إسرائيل والفرض المفرط للدين، مع الحفاظ المعقول والمتزن على القيم الدينية، والعلمانية المتزايدة لليهود الإسرائيليين: مع أن الغالبية مرتبطة بصورة أو بأخرى بالعادات اليهودية ولكنهم لا يعيشون حياة متدينة. حتى بالمقارنة مع يهود أميركا، أغلب اليهود في إسرائيل يفهمون اليهودية أنها الانتماء للشعب اليهودي، أي هوية يهودية وليست ديانة. اليهودية مرتبطة بالإرث التاريخي للبلاد، للغة، للعادات والتقاليد أكثر منها للطقوس والواجبات الدينية. تقريباً كل اليهود الإسرائيليين يعتقدون أن الإنسان يستطيع أن يكون يهودياً كاملاً دون أن يكون متديناً.

على موارد أكبر.

اللغة في إسرائيل، الأعياد، أيام العطلة، أيام الذكرى، الرموز والأبطال القوميون جميعها يهودية، بواسطة قانون العودة وسياسة الهجرة فإن الدولة هي التي تحد أو تزيد في عدد الأغلبية اليهودية بداخلها. الموروث، العقيدة، التاريخ والكتابات اليهودية هي مواد أساسية في الخطة التعليمية في المدارس، الصهيونية هي فكر هذه عملياً.

مع أن المؤسسات الصهيونية مثل الوكالة اليهودية والكيرن كيمت تعمل بشكل رسمي فقط من أجل اليهود، فقد حولت الدولة إليها بعض الوحدات المهمة من المهام المهمة مثل التخطيط وتمويل مناطق سكنية جديدة وإعطاء خدمات رفاه أخرى للمسنين.

يمنع القانون في إسرائيل إقامة حزب ينفي صبغة إسرائيل بأنها دولة يهودية وديمقراطية، كدولة ديمقراطية ويهودية فإن إسرائيل ليست ملائمة لأي من نماذج الديمقراطية الغربية – ليس للنموذج الليبرالي ولا للنموذج التوافقي.

٨. الدين

عادة يكون الغرب علمانياً، فالحروب بين الدين والدولة انتهت في القرن التاسع عشر بفصلها عن بعضها. من هذا المنطلق فإن إسرائيل ليست دولة غربية، إذ لم تحدث فيها حروب بين الدين والدولة، إنما يستمر هذا الصراع على نار هادئة. فالسكان منقسمون إلى جماعات دينية، وكل إنسان مسجل في وزارة الداخلية بحسب دينه، الجماعات الدينية الرسمية تسيطر على أمور مثل الزواج، الطلاق، حضانة الأولاد، الدفن، وفيما يتعلق باليهود فأيضاً التعريف المصيري بـ من هو اليهودي؟ تقحم به الجماعة الدينية. تمول الدولة وبسخاء خدمات دينية مثل مدارس دينية، يشيفوت والعديد من المؤسسات والفعاليات الدينية. وهي تعفي عشرات آلاف طلاب اليشيفاة من الخدمة في الجيش وتدفع لهم مصاريف التعليم ولوازم الحياة. يؤدي هذا الربط بين الدين والدولة إلى توتر كبير في أوساط اليهود الإسرائيليين.

إضافة للأمثلة الصارخة التي تفسر هذا الشرخ، فإن النساء اليهوديات تهضم حقوقهن: بعض منهن ممنوع من الزواج، ممنوعات من العمل كقاضيات أو كشاهدات في المحاكم الدينية اليهودية، يواجه أطفال الزيجات المختلطة الوضع " غير المُعَرّف "، الزواج المدني غير مسموح به حتى بين الأديان المختلفة. فالدولة لا تعترف بالحاخامات الاصلاحيين ولا تعطيهم الرخص لمزاولة مهام دينية مثل الزواج. بالمقارنة مع اليهود في الغرب الذين يشددون على عالمية التقاليد الإنسانية والأخلاقية للدين اليهودي في وسط منفتح ومنافس، في إسرائيل تحتكر اليهودية الأرثوذكسية المهام الطقوسية، السياسية، القومية والانغلاق.

تتنافى مركزية الدين في حياة الدولة والمجتمع في إسرائيل والفرض المفرط للدين، مع الحفاظ المعقول والمتزن على القيم الدينية، والعلمانية المتزايدة لليهود الإسرائيليين: مع أن الغالبية مرتبطة بصورة أو بأخرى بالعادات اليهودية ولكنهم لا يعيشون حياة متدينة. حتى بالمقارنة مع يهود أميركا، أغلب اليهود في إسرائيل يفهمون اليهودية أنها الانتماء للشعب اليهودي، أي هوية يهودية وليست ديانة. اليهودية مرتبطة بالإرث التاريخي للبلاد، للغة، للعادات والتقاليد أكثر منها للطقوس والواجبات الدينية. تقريباً كل

أيضاً فإن الإسرائيليين يتبنون أكثر فأكثر طرق التسلية الغربية، فالشبان يستمتعون إلى موسيقى البوب، يرقصون في الملاهي، يذهبون إلى السينما، يشاهدون التلفاز، يتكلمون بالهاتف المحمول ويستعملون الإنترنت، تماماً كما يفعل الشباب في الغرب. وبالمقارنة مع جيلهم من الشباب الواعي والأنضج في الغرب، يحافظ الشباب الإسرائيلي على مستوى عالٍ من القراءة. السياحة الداخلية والخارجية متطورة ونسب الذهاب إلى البحر للتفسح والسباحة عالية جداً.

اليهود الإسرائيليين يعتقدون أن الإنسان يستطيع أن يكون يهودياً كاملاً دون أن يكون متديناً.

٩. قومية

القومية في الغرب هي مدنية، إقليمية، غير مفسرة وليست ذات متطلبات خاصة، أما في إسرائيل فاليهودية تشذ بوضوح عن هذا القالب الغربي بخصوص القومية اللبرالية. ليست هناك قومية واحدة تجمع بين السكان في إسرائيل على أرض واحدة أو مواطنة واحدة، فهناك قومية يهودية لليهود وقومية عربية – فلسطينية للعرب. أساس القومية اليهودية هو الخلفية الإثنية اليهودية، اليهودية تعني الدين اليهودي والشعب اليهودي (بمعنى اللغة، التاريخ، الثقافة).

مثل هذه القومية الإثنية موجودة في شرق أوروبا، ولكنها غير موجودة في الغرب. تؤدي هذه القومية بطبعها إلى التفكك، هي غير متسامحة، وتشكل قاعدة صلبة للديمقراطية الإثنية، ترفض التفرقة بين الدين، الوطن والدولة وتلحق الأذى بالعرب وبالمواطنين غير اليهود.

تسمح مثل هذه القومية ليهود العالم بالتدخل في الأمور الداخلية لإسرائيل كونها وطن الشعب اليهودي. أما انتقال إسرائيل إلى القومية اللبرالية المدنية وخصخصة الدين فقد يؤديان إلى زيجات مختلطة ولنمو أمة إسرائيلية جديدة، تضم يهوداً وغير يهود، وقطع الصلة بين يهود إسرائيل ويهود الشتات، لكن الأيديولوجيا القومية اليهودية تمنع مثل هذه الأفكار.

منذ إنتهاء الحرب العالمية الثانية تتلاشى القومية في الغرب متأثرة بذلك من عوامل مثل العولمة، التعاون والاتحاد على مستوى المنطقة، وتعدد الثقافات، بينما في إسرائيل القومية اليهودية والقومية الفلسطينية ما زالت تحتل موقعاً مركزياً. في إسرائيل يتوقع من المواطن أن يولي اهتماماً لشؤون الوطن وليس العمل فقط لمستقبله الشخصي. على الإسرائيلي أن يقوم بتضحيات شخصية من أجل المجتمع، أن يتطوع لمهام صعبة، أن يحارب وأن يموت في سبيل الدولة، أن يدفع ضرائب باهظة، وأن يصاب بتأنيب الضمير إذا ما فكر في ترك البلاد.

كذلك يتوقع من اليهود الإسرائيليين أن يشعروا بالقرب والتضامن مع ملايين اليهود الذين يعيشون في الشتات، وأن يرحبوا بالقادمين الجدد وأن يساعدوهم، مع أن العديد من الإسرائيليين يشعرون بالبرودة تجاه اليهود غير الإسرائيليين واتجاه القادمين الجدد. يعمل اليهود في إسرائيل بكد من أجل مشاريع قومية مثل إعمار النقب والجليل، وحتى من أجل مشاريع مثيرة للجدل مثل السكن في الجولان، الضفة وغزة.

يمكن في المدى البعيد أن نلمس مؤشرات نحو ضعف القومية اليهودية، لأن الأمور الشخصية تتقدم باتجاه الحصول على الأولوية والشرعية.

١٠. نمط الحياة

ليس نمط الحياة في إسرائيل غربياً مع أنه يتحول تدريجياً نحو الغرب. يعيش اليهودي الإسرائيلي حياة برجوازية تقربه من الغرب، ولكن مع هذا الزحف الإسرائيلي نحو الغرب ما زال التحول جزئياً وبعيداً عن تغيير طريقة التفكير والتصرفات الخاصة بالإسرائيلي، يتشابه الإسرائيليون بالغربيين في نمط الحياة الحديث. في سنة ٢٠٠٢ سكن ٩٢٪ من الإسرائيليين في مدن ومراكز مدينية مقابل أقل من ٨٠٪ من السكان في دول ذات مداخيل عالية.

يُعَد الإسرائيلي قريباً جداً من الغربي بمجموعة قيم: فالإسرائيلي يشبه الغربي بثقته بقدرة الإنسان على التحكم بحياته وبمصيره، بالعمل الجاد، بالدافع لديه للتميز وللوصول لإنجازات، بالمنافسة، في نظرتهم الإيجابية نحو التغييرات والتجديدات في تخصيص جزء كبير من دخلهم للادخار وجمع المال، في تقديرهم الكبير للعلم والتكنولوجيا، في تعرضهم الدائم للإعلام بالتركيز على جمع

المعلومات وتعلمها، وبمستوى الاستهلاك العالي.

أيضاً فإن الإسرائيليين يتبنون أكثر فأكثر طرق التسلية الغربية، فالشبان يستمتعون إلى موسيقى البوب، يرقصون في الملاهي، يذهبون إلى السينما، يشاهدون التلفاز، يتكلمون بالهاتف المحمول ويستعملون الإنترنت، تماماً كما يفعل الشباب في الغرب. وبالمقارنة مع جيلهم من الشباب الواعي والأنضج في الغرب، يحافظ الشباب الإسرائيلي على مستوى عالٍ من القراءة. السياحة الداخلية والخارجية متطورة ونسب الذهاب إلى البحر للتفسح والسباحة عالية جداً.

يختلف الإسرائيليون عن الغربيين بعدة نقاط بارزة في الحياة: تتميز علاقاتهم الاجتماعية إلى حد كبير بالعفوية، الدفء، علاقات فردية غير مصلحية، جميع هذه الصفات هي بعكس العلاقات السائدة في المجتمع الغربي. كما أن للفرد الإسرائيلي أطباع مختلفة عن الغرب فهو مباشر، فظ، يستخدم اسم الشخص للمناداة، صلف، يتميز بلباس على الموضة، غير مؤدب، يتدخل في أمور الآخرين الشخصية، لا يستمع، يمكنه أن يندفع بالحديث مقاطعاً المتكلم، وقيادته غير لائقة في الطرقات.

عوامل تسريع أو تأخير الغربنة

الصورة العامة لإسرائيل أنها دولة حديثة ومتطورة، ولكنها نصف غربية. مع هذا فإن القوى والمراحل التي قطعتها في التحول نحو الغرب عظيمة، ويمكن ذكر الواقع بأن الغرب هو الحليف الجيد لإسرائيل والمصدر المركزي للدعم العسكري السياسي، الاقتصادي، والأخلاقي. كما أن إسرائيل تنجذب نحو الغرب أيضاً، لأنه يعد المنطقة الغنية المتطورة، الأخلاقية، الديمقراطية، والأنجح في العالم.

تجعل الديمقراطية المطبقة في إسرائيل اليوم منها غربية أكثر في سلطتها وفي ثقافتها السياسة، وأيضاً فإن العولمة تقربها إلى الغرب من النواحي الاقتصادية، السياسية، القانون، الثقافة وأوقات الفراغ. تعزز النقلة التاريخية إلى مجتمع ما بعد الحرب– على الرغم من المعيقات – القيم الغربية مثل الفردية والمادية.

وفي النهاية، يجبر التجمع اليهودي في دول الشتات إسرائيل على الارتباط بالغرب طالما حافظت على النبوءة الصهيونية التي ترى بإسرائيل دولة الشعب اليهودي، ما دامت هذه المؤشرات جميعاً تصب في غربنة إسرائيل، فلماذا لم تتحول إسرائيل إلى دولة غربية؟

لم يكن بُناة المجتمع الإسرائيلي من الغرب، واليوم لا يشكل الغربيون ١٠٪ من سكان إسرائيل وأصولهم من ألمانيا، فرنسا والدول الأنجلوسكسونية، بينما ٩٠٪ من سكان إسرائيل ينتمون إلى أصول شرق أوروبا والشرق الأوسط. صحيح أن القادة في إسرائيل كانوا من الأشكناز الذين قدموا من الغرب، ولكن يهود شرق أوروبا كان لهم فكر وتصرفات غير غربية مثل إنشاء قومية أثنية دينية.

هناك سبب آخر لعدم التحول إلى الغرب، هو الخلط بين الإثنية والدين والقومية: اليهودية التاريخية وحتى اليهودية في أيامنا، تمنع قيام أمة إسرائيلية مدنية جديدة تستند على أرض مشتركة ومواطنة مشتركة.

إن الكيان الإسرائيلي هو كيان جديد ليس لديه تاريخ حافل، كما الحضارات الأخرى. تماماً كما يحصل مع المهاجرين إلى دول أخرى يحصل للمهاجرين في إسرائيل، حيث عليهم التأقلم وبسرعة مع التغييرات السريعة، إلا أن هذا التغيير في إسرائيل يلبس حلة من الحداثة وليس من الغربنة، ومع هذا فإن المستقبل كفيل بأن تتحول إسرائيل إلى الغرب.

الصراع العربي الإسرائيلي، هو جزء من واقع الحياة في المجتمع الإسرائيلي منذ قيامها، وهو أحد العوامل الرئيسية التي تعيق مسار الغربنة. تداعيات هذا الصراع ملموسة في عدة مناحٍ، فمثلاً الصراع مع العالم العربي وفرض المقاطعة العربية على البضائع الإسرائيلية، يحد من الاستثمارات الدولية في إسرائيل.

تحتم الدواعي الأمنية والتهديد الوجودي اتخاذ سياسة تشجيع الهجرة اليهودية إلى إسرائيل بأي ثمن، لتجنيد أعداد كبيرة. إحدى هذه المعيقات التاريخية هي الصهيونية التي ما تزال قوة شديدة التأثير تمنع إسرائيل من الذهاب نحو الغرب: في أوساط اليهود الإسرائيليين هناك تيار سياسي يميني قوي، وآخر ديني، يعارضان مشروع الغربنة، حيث لديهم شكوك من العولمة والنوايا الغربية، ويخافون التأثير المدمر للغرب على اليهودية وعلى الرسالة اليهودية الصهيونية المتمثلة بإسرائيل.

عائق آخر هو الطبيعة المتقلبة للشرق الأوسط، الذي يتميز بعدم الاستقرار وعدم الأمان، وعدم التطور. تجعل هذه العوامل اليهود يشعرون بعدم الأمان، رغم الرغبات القوية بالانفصال عن العالم العربي والإسلامي والاندماج في الغرب، إلا ان اليهود الإسرائيليين

يشعرون بحاجة للحفاظ على مستوى عالٍ من الاستعداد لضمان استمراريتهم. فالصراع الإسرائيلي العربي حتى لو كان ساكناً يعمل ضد مشاركة إسرائيل الكاملة في الغرب، لأنه يبطئ مرحلة تحول إسرائيل من مجتمع موجه إلى مجتمع مدني.

استنتاج

تم بحث قضية مدى غربية إسرائيل أو عدمه ليس فقط لفهم إسرائيل بشكل افضل، وإنما لطرح تساؤلات حول تعريف الغرب بما يخص مسارات تطور ممكنة وبديلة للعولمة والحداثة دون الغربنة، وبما يخص التحولات للدول ما بعد الشيوعية.

المصطلح غربي هو فئة ثانوية للمصطلح "متطور" وهو فئة ثانوية للمصطلح "حديث" يصف الثقافة في غرب أوروبا ومجتمعات أصولها من غرب أوروبا. وهو يشمل مجموعة المواصفات التي توحد هذه الدول. ويمكن اعتبار مجتمع موجود خارج الكتلة الغربية غربياً إذا احتوى على عناصر عدة من هذه الميزات.

ليس هناك تعريف واضح للمصطلح غربي، ولكن يمكن رصد الميزات المشتركة للمجتمعات الغربية. ويظهر تطبيق مُفصل للموديل الغربي أنه يمكن اعتبار إسرائيل غربية فقط بشكل جزئي.

فإسرائيل غربية بنظرتها إلى نفسها، في نواياها في علاقاتها مع العالم، في العلم، التكنولوجيا، في التعليم العالي، في اقتصاد السوق في النظام الديمقراطي. ولكنها ليست غربية في حدودها غير الثابتة وغير المعروفة، في عدم وضوح مقاييس الانتماء إليها، في التكاثر الطبيعي العالي وفي العائلية، في مركزية الجيش، في تدخل الدولة بالاقتصاد، مستوى المعيشة غير المرتفع، في التأثير الكبير للدين على حياة المواطنين، بعدم اتباع القانون، في ضعف الديمقراطية وبروز القومية الإثنية.

لم تصبح إسرائيل غربية خاصةً بسبب أصول القادمين غير الغربية للآباء المؤسسين وبسبب الوضع الذي لا رجعة عنه في الدين والإثنية والقومية للشعب اليهودي وبسبب الجذور الشرق أوروبية للصهيونية، والرغبة في التجديد الكامل من أجل البقاء في بيئة معادية. هذه القوى المعيقة لا تزال تبطئ مسار غربنة إسرائيل، الذي بدوره يتغذى من ديمقراطية دائمة، عولمة متسارعة، ومن انتقال موجع لعهد سلام.

إسرائيل في سنوات الـ ٢٠٠٠ غربية أكثر مما كانت في سنوات الـ ٥٠ والـ ٦٠ وفي مجالات حياة عدة تصبح غربية أكثر فأكثر. إسرائيل النصف غربية توضح أن هناك بدائل ليست غربية من التطور والحداثة، وأن العولمة لا تمحي الاختلاف بين المجتمعات في العالم. ما هو صحيح بالنسبة لإسرائيل ممكن أن ينطبق أيضاً على اليابان، الصين وكوريا الجنوبية، وأيضاً ينطبق على بعض من الدول ما بعد الشيوعية في وسط أوروبا وشرقها. فيما يخص إسرائيل نفهم أنه على الرغم من تأثير العولمة، النظرة الدولية وخوالج القلب، خيارات المجتمع تلبس أشكالاً مختلفة وتتجه اتجاهات مختلفة، وأن هناك بدائل حقيقية للغربنة.

صدر حديثاً عن مدار

مدار المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية
MADAR The Palestinian Forum for Israeli Studies